

المنهج الإسلامي الواضح للحصول على الولد الصالح

١- اختيار الزوجة

٢- اختيار الزوج

للشيخ / ندا أبو أحمد



المنهج الإسلامي الواضح لمن أراد الولد الصالح

1. اختيار الزوجة ٢. اختيار الزوج

مَهَيِّدٌ

إِنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَدِ اللَّهِ
فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ . . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ
الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ
فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله - تعالى - وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل
محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

مقدمة

مما لا شك فيه أن نعم الله علينا كثيرة لا تعد ولا تحصى، ومن النعم التي أنعم الله بها على الإنسان نعمة الأولاد، فهم منحة إلهية، وهبة ربانية، وهم الذين يسعد الفؤاد ويسرُّ بمشاهدتهم، وتقرُّ العين برؤيتهم، وتبتهج النفس بمحادثتهم، فهم زهرة الحياة الدنيا.

كما قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف: ٤٦)

وقال تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ (آل عمران: ١٤)

وكما قال القائل:

بيننا تمشي علي الأرض

إنما أولادنا أكبادنا

لا تمتنع عيني من الغمض

لو هبت الريح على بعضهم

- وهؤلاء الأولاد فتنة، أي: اختبار وامتحان من الله تعالى للعبد، كما قال الله تعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال: ٢٨)

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: اختبار وامتحان منه

لكم إذ أعطاكموها؛ ليعلم أشكرونها عليها وتطيعونه فيها، أو تتشغلون بها عنه، وتعتاضون بها منه،

كما جاء أيضاً في سورة التغابن: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (التغابن: ١٥)

وجاء في "مسند الإمام أحمد" عن عبد الله بن بريدة قال:

سمعت أبي بريدة يقول: كان رسول الله ﷺ يخطبنا، فجاء الحسن والحسين عليهما

قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما

بين يديه، ثم قال: "صدق الله ورسوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نظرت إلى هذين

الصبيَّين يمشيان ويعثران فلم أصبر، حتى قطعت حديثي ورفعتهما". (صحيح الجامع: ٣٧٥٧)

وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ أي: ثوابه وعطاؤه وجناته خير لكم من الأموال والأولاد، فإنه قد

يوجد منهم عدو، وأكثرهم لا يغني عنك شيئاً، والله سبحانه هو المتصرف المالك للدنيا والآخرة،

(أهـ تفسير ابن كثير بتصرف)

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ

وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران: ١٤)

وأيضاً قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ^(١) خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرُ أَمْلًا﴾ (الكهف: ٤٦)

فعلى الإنسان ألا يغتر بهذه الزينة، فهو غرور يمر ولا يبقى، كالهشيم حين ذرته الرياح، إنما يبقى ما كان من زاد القبر وعُدّد الآخرة، كما مر بنا في الآيات.

* ولقد حذرنا الله ﷻ من الانشغال بزينة الدنيا من أولاد وأموال عن طاعته سبحانه وذكره.

فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المنافقون: ٩)

* وربما غلب حب الأولاد والأزواج عند البعض، حتى لدرجة البعد عن طاعة الله

كما قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ (التغابن: ١٤)

قال ابن كثير - رحمه الله - في هذه الآية:

من الزوجات والأولاد من هو عدوٌّ للزوج، بمعنى أنه يلتهي بهما عن العمل الصالح، كقوله تعالى محذراً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المنافقون: ٩) ولهذا قال تعالى هاهنا: ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾، قال ابن زيد: يعني على دينكم.

وقال مجاهد: أي: حب الزوجات والأولاد يحمل الرجل على قطيعة الرحم، أو معصية ربه، فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعهما. أه بتصرف

وقد بين النبي ﷺ هذا جلياً، ففي الحديث الذي أخرجه أبو يعلى بسند فيه مقال عن أبي سعيد مرفوعاً: "الولد ثمرة القلب وأنه مجنبٌ مبخلٌ محزنٌ"

(الضعيفة: ٤٧٦٤، ضعيف الجامع: ٦١٦٥)

لكن جاء هذا الحديث بسند صحيح كما في "مسند الإمام أحمد" وعند البزار عن أبي سعيد مرفوعاً: "الولد مجنبٌ مبخلٌ محزنٌ"

(صحيح الجامع: ٧١٦٠)

وفي رواية عند الحاكم والطبراني عن خولة بنت حكيم مرفوعاً:

"إن الولد مبخلٌ مجنبٌ مجهلٌ محزنٌ"

(صحيح الجامع: ١٩٩٠)

فالولد يكون مجنبٌ: أي: يجبن الوالد عن الجهاد خوفاً من الموت، فيصيب أولاده اليتيم وما وراءه من متاعب وآلام، وربما يخون ويرتشى، ويأكل الحرام بسبب الأولاد، فيجبن من الوقوع تحت طائلة العقوبة والفضيحة والعار في الدنيا والآخرة.

(١) البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: في معناها أقوال، قيل: هي الصلوات الخمس، وقيل: هي: سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وقيل: هي: التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد والحوقة (لا حول ولا قوة إلا بالله)، وقيل: هي النيات والهمات، وقيل: إنها كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للأخرة، والآخر رجحه الطبري، وقال القرطبي: هو الصحيح؛ لأن كل ما بقي ثوابه جاز أن يقال له هذا. والله أعلم.

مَبْخَلَةٌ: فالولد يحمل أباه على البخل، فكلما أراد أن ينفق سوّل له الشيطان بقوله: ولدك أحق بهذا المال، فيمسك المال مخافة الفقر والحاجة.

مَحْزَنَةٌ: وذلك لمرض الولد أو موته، فيجزع الوالد أو يحزن عليه حزناً شديداً، أو أن يكون الولد عاقاً لوالده، فيصاب الوالد بالحزن والأسى.

مَجْهَلَةٌ: بأن ينشغل به الوالد عن طلب العلم والدعوة إلى الله.

* فكل من قدّم محبة الأولاد على محبة الله وآثرهم على طاعة الله، فإن الله ﷻ سيعذبه بهم وهذه سنة ربانية لا تتغير: فكل من أحب شيئاً أكثر من محبته لله عذبه الله به.

كمن يحب المال أكثر من محبته لله، فإله ﷻ يعذبه به في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا مشقة وعذاب في جمعه، ومشقة وعذاب خوفاً عليه من الضياع، وعذاب وألم عند الموت لفراقه، فهو يتركه كله ويحاسب عليه كله، وكذلك الحال بالنسبة للأولاد، وصدق الله تعالى حيث يقول:

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾

(التوبة: ٥٥)

بل توعد الله ﷻ كل من قدّم محبة الأولاد، فعاش لهم وعمل من أجلهم ليل نهار، وقدّم محبتهم فوق محبة الواحد القهار فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٣٤)

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: إن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله، وجهاد في سبيله، ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾: أي فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم.

فأين هذا المسكين من قول الرسول الأمين ﷺ الثابت في صحيح البخاري ومسلم:

"ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حُلَاوَةَ الْإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا" وأيضاً جاء عند البخاري قول النبي ﷺ:

"والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين"

ومن خلال ما تقدم ينبغي أن نعي ونفهم جيداً قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (التغابن: ١٥)

يقول ابن كثير - رحمه الله - في هذه الآية:

إنما الأموال والأولاد فتنة، أي: اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه.

– فلا بد أن نعي الدرس جيداً، ولا ننساق وراء حب الأولاد، ونبتعد عن طاعة رب الأرباب، ولا ننسى مراد الله ومراد رسوله ﷺ، والغاية من إنجاب الولد، حتى نسعد وإياهم في الدنيا والآخرة، ومن هنا يأتي أهمية هذا الموضوع (المنهج الإسلامي الواضح لمن أراد الولد الصالح) لأنه باتباع هذا المنهج يكون صلاح الولد إن شاء الله، والذي هو بمثابة كنز وثروة عظيمة للإنسان في حياته وبعد مماته.

ففي الدنيا:

١. فالولد الصالح قرة عين للآباء:

يهنئنا ببره، ويسعدنا بطاعته، ويطيبهما إذا مرضا، ويقوم على خدمتهما إذا كبرا.

٢. وينفق عليهما إذا احتاجا:

فقد أخرج الخمسة وابن حبان والحاكم عن عائشة – رضي الله عنها – عن رسول الله ﷺ قال: " **إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم** " وعند الإمام أحمد بلفظ: " **ولد الرجل من كسبه، فكلوا من أموالهم هنيئاً** " **٣. قضاء دينه الذي عليه:**

سواء كان ديناً متعلقاً بحق الله، أو حقوق الخلق، فإن المؤمن يحبس عن الجنة بدينه.

فقد أخرج ابن ماجه والإمام أحمد عن سعد بن الأطول:

" **إن أخاه مات وترك ثلاثمائة درهم وترك عيلاً، [فقال سعد:] فأردت أن أنفقها على عياله، فقال النبي ﷺ: إن أخاك محتبس بدينه فاقض عنه، فذهبت فقضيت عنه.** " فوجود الأولاد نعمة لأبيهم يقضون عنه دينه لئلا يحبس به، وهم كذلك يتولون قضاء ديونه الدينية كالصيام عنه .

فقد أخرج البخاري عن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺ قال: " **من مات وعليه صيام، صام عنه وليه** "

ملحوظة: الصوم المقصود: صوم النذر على الراجح.

وأخرج أبو داود والنسائي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال:

" **إن امرأة ركبت البحر فنذرت إن الله – تبارك وتعالى – أنجاها، أن تصوم شهراً فأنجاها الله ﷻ فلم تصم حتى ماتت، فجاءت قرابة لها إما أختها أو ابنتها إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: أرأيتك لو كان عليها دين كنت تقضيه ؟ قالت: نعم، قال: فدين الله أحق أن يقضى فاقض عن أمك .** "



وبعد الممات:

١ - الولد الصالح يحج عن الوالدين:

فقد أخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - :

"إن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت. أفأحج عنها؟ قال: نعم. حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته اقضي الله فالله أحق بالوفاء."

٢ - الولد الصالح يبرأ ذمة الوالدين، وذلك بقضاء ما عليهما من نذر:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال:

"إن سعد بن عبادة ؓ استفتى رسول الله ﷺ: إن أمي ماتت وعليها نذر؟ فقال النبي ﷺ: اقضه عنها."

٣ - الولد الصالح يتصدق عن الوالدين:

١ - أخرج البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت:

"إن رجلاً قال: إن أمي افْتُلَّتْ نفسها، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم."

٢ - وفي رواية عند البخاري أيضاً:

"إن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إن أمي ماتت أينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: نعم."

٣ - وعند البخاري من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال:

"إن سعد بن عبادة - أخا بني ساعدة - توفيت أمه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله: إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقت بشيء عنها؟ قال: نعم قال: فإنني أشهدك إن حائط المخراف صدقة عليها"

- المخراف: أي المتمر، سمي بذلك لما يخرف منه، أي: يجني من الثمر.

٤ - وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ؓ قال:

"إن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إن أبي مات وترك مالا ولم يوص، فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه؟ قال: نعم."

والولد نفع لوالديه في الآخرة

وذلك إذا مات هذا الولد قبلهم أو ماتوا هم قبله.

أولاً: الأجر والثواب الحاصل للوالدين لصبرهما على فقد الولد واحتسابه:

١ - موت الولد يكفر الخطايا:

فقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

" ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة "

٢ - موت الولد يثقل ميزان الوالدين:

فقد أخرج النسائي وابن حبان في صحيحه واللفظ له عن أبي سلمى أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " بخ بخ - وأشار بيده لخمس - ما أثقلهن في الميزان: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والولد الصالح يتوفى للمراء المسلم فيحتسبه " (حديث صحيح)

٣ - موت الأولاد حجاب من النار:

أ (أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

" لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تحلة القسم "

ب (وعند البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

" قالت النساء للنبي ﷺ غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً

لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن: ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها

- وفي رواية: " ثلاثة لم يبلغوا الحنث - إلا كان لها حجاباً من النار، فقالت امرأة

واشتين [اثنين]؟ فقال واشتتين [واشتين] "

ج (وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

"أتت امرأة بصبي لها، فقالت: يا نبي الله ادع الله لي، فلقد دفنت ثلاثة، فقال: دفنت

ثلاثة؟ قالت: نعم، قال: لقد احتظرت بحظار شديد من النار."

- الحظار: هو الحائط يجعل كالسور على الشيء.

ومعنى الحديث: لقد احتميت من النار وتحصنت منها بحصن حصين وحمى منيع.

٤ - موت الأولاد والصبر عليهم سبب لشفاعتهم للوالدين يوم القيامة:

أ) أخرج الإمام مسلم من حديث أبي حسان قال:

"قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان، فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث يطيب أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم. صغارهم دعاميص الجنة، يتلقى أحدهم أباه - أو قال أبويه - فيأخذ بثوبه - أو قال بيده - كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا فلا يتناهى - أو قال ينتهي - حتى يدخله الله وأباه الجنة".

— الدعاميص: جمع دعموص، وهي دويبة تكون في الماء أي ملازمة فيه والمعنى أنهم سيأخون في الجنة لا يُمنعون من موضع منها.
— وقيل الدعموص: هو الرجل الكثير الدخول على الملوك من غير إذن منهم، لا يخاف حيث دخل من ديارهم لمكانته عندهم، شبه الطفل به لذهابه في الجنة حيث شاء، لا يمنع من قصر منها ولا مكانة.
— صنفة الثوب: طرفه وناحيه.

ب) أخرج الطبراني بسند صحيح عن حبيبة أنها كانت عند عائشة - رضي الله عنها -: "فجاء النبي ﷺ حتى دخل عليها، فقال: ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، إلا جاء بهم يوم القيامة حتى يوقفوا على باب الجنة، فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: حتى يدخل آباؤنا، فيقال لهم: ادخلوا أنتم وآباؤكم".

(صحيح الجامع: ٥٧٨٠)

هـ - موت الأولاد واحتسابهم سبب لدخول الجنة:

سواء مات له ولد أو اثنان أو ثلاثة ولكن يشترط الصبر والاحتساب .

أولاً: مَنْ مات له ولد:

(أ) فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

يقول الله تعالى: "ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة "

ملحوظة: هذا الحديث في حق الأولاد، وغيرهم من الأقارب والأصدقاء.

(ب) وفي سنن الترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"إذا مات ولد العبد، قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون: نعم
فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال ؟ فيقولون: حمدك
واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد".

(جـ) وفي مسند الإمام أحمد عن قُرّة بن إياس:

"إن رجلاً كان يأتي النبي ﷺ ومعه ابنٌ له، فقال النبي: أتعبه ؟ قال: نعم يا رسول الله
أحبك الله كما أحبه، ففقدته النبي ﷺ فقال: ما فعل فلان بن فلان، قالوا يا رسول الله:
مات، فقال النبي لأبيه: ألا تحب أن تأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك ؟ فقال
رجل: يا رسول الله أله خاصة أم لكلنا ؟ فقال: بل لكلكم ."

وفي رواية النسائي:

"كان نبي الله إذا جلس، جلس إليه نفر من أصحابه، فيهم رجل له ابن صغير يأتيه من
خلف ظهره فيقعده بين يديه، فهلك فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه، ففقدته
النبي فقال: ما لي لا أرى فلان ؟ قالوا يا رسول الله: بُنيه الذي رأيته هلك، فلقيه
النبي ﷺ فسأله عن بُنيّه فأخبره أنه هلك، فعزاه عليه، ثم قال يا فلان: أيهما كان أحب
إليك ؟ أن تمتع به عمرك، أو لا تأتي إلى باب من الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه
لك، قال: يا نبي الله، بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها لهُوَ أحب إليّ، قال: فذاك لك".

ثانياً: مَنْ مات له ولدان كانا سبباً في دخوله الجنة:

أ) فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

"إن نسوة من الأنصار قلن يا رسول الله: إنا لا نستطيع أن نأتيك، فقال لهن رسول الله: "موعدكن بيت فلانة، فجاء فتحدث معهن، ثم قال: لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه إلا دخلت الجنة فقالت امرأة منهن: أو اثنين يا رسول الله؟ قال أو اثنين "

ب) وأخرج الإمام أحمد وابن حبان بسند حسن عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "مَنْ مات له ثلاثة من الولد فاحتسبهم دخل الجنة، قال: قلنا يا رسول الله: واثنان؟ قال: واثنان، قال محمود بن لبيد: فقلت لجابر: أراكم لو قتلتم واحداً لقال واحداً، قال جابر: وأنا أظن ذلك ".

ثالثاً: مَنْ مات له ثلاثة من الأولاد كانوا سبباً لدخوله الجنة:

أ) أخرج البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

" ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم " .
— الحنث: هو الإثم والذنب، والمعنى أنهم لم يبلغوا من العمر سنّاً تكتب عليهم فيه الذنوب

ب) وفي رواية ابن حبان:

" مَنْ احتسب ثلاثة من صلبه دخل الجنة " .

ج) وعند أحمد والطبراني بسند جيد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

"مَنْ أكل ثلاثة من صلبه فاحتسبهم على الله في سبيل الله ﷻ، وجبت له الجنة "

(صحيح الجامع ٥٩٤٩)

د) وأخرج ابن ماجه بسند حسن عن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله

ﷺ يقول: " ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل " .

ثانياً: الأجر والثواب الحاصل للوالدين إذا ماتا قبل الولد:

١- قال النبي ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه**:

"إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له".

فإنه ﷻ يرحم بدعائه الوالدين ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٤)

٢ - وهذا الدعاء يصل للميت في قبره:

فقد أخرج ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء **رضي الله عنه** قال:

"ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر فقال: إن الله ﷻ لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما الزيادة في العمر أن يرزق الله العبد الذرية الصالحة يدعون له فيلحقه دعائهم في قبره".

٣ - بل أخبر النبي ﷺ: إن الرجل ترفع درجته في الجنة باستغفار ولده له :

فقد أخرج الإمام أحمد وابن ماجه بسند صحيح أن النبي ﷺ قال:

"إن الرجل ليرفع درجته في الجنة، فيقول: أنى لي هذا ؟ فيقال: باستغفار ولدك لك "

(الصحيحة: ١٥٩٨)

وعند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله ﷺ:

" إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب أنى لي هذه ؟ فيقول: باستغفار ولدك لك "

٤ - وأخرج أبو يعلى عن أنس **رضي الله عنه** أن النبي ﷺ قال:

" المولود حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنة كتبت لوالده أو لوالديه، وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه "

وفي قول الله تعالى: ﴿ وَنَكُتُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ (يس: ١٢)

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (النجم: ٣٩)

قال العلماء: إن ابن الإنسان من سعيه وكسبه وهو من جملة آثاره ولذلك فعمله الصالح ينتفع به الوالدان دون أن ينقص من أجره شيء. - ولو أساء الابن فعله إساءته طالما قاما بحقه في التربية الصالحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (النجم: ٣٨).

قال الشوكاني في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لِّئْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (النجم: ٣٩) المعنى: ليس له إلا أجر سعيه وجزاء عمله، ولا ينفع أحداً عمل أحد. وهذا العموم مخصص بمثل قوله تعالى: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (الطور: ٢١)

أي: ألحقنا بهم عمل ذريتهم الصالحة، فالولد الصالح في ميزان حسنات أبيه، خاصة دعاؤه لأبيه، وصلاح الولد في ميزان حسنات أبيه وأمه، سواء دعا أم لا، فأى عمل يقوم به الولد يكون في ميزان الوالدين. أهـ

ولا أدل على ذلك من الأحاديث السابقة: **"إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث... منهم: " ولد صالح يدعو له "**.

وقيد النبي ﷺ **بالصالح**؛ لأن الأجر لا يحصل من غيره، وإنما ذكر الدعاء له تحريضاً على الدعاء لأبيه، لا لأنه قيد؛ لأن الأجر يحصل للوالد من ولده الصالح كلما عمل عملاً صالحاً، سواء دعا لأبيه أم لا، كمن غرس شجرة يحصل له من أكل ثمرتها ثواب، سواء أدعا له من أكلها أم لم يدع بأكلها وكذلك الأم.

فان ما يفعله الولد من الأعمال الصالحة، فإن لوالديه مثل الأجر دون أن ينقص من أجره شيء؛ لأن الولد من سعيهما وكسبهما.

والله تعالى يقول: ﴿وَأَنْ لِّئْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (النجم: ٣٩)

وقال النبي ﷺ كما في "سنن أبي داود":

"إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه "

فالولد الصالح في ميزان أبيه؛ وذلك لأنه من كسب أبيه

وقد ورد في الحديث:

" مَنْ دعا إلى هدى فله أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة "

وأي دعوة أعظم من أن ينشأ أولاده على طاعة الله ﷻ، ويقيمهم على طاعته وطاعة رسوله ﷺ، فمما لاشك فيه: إن أي عمل يقوم به الولد فهو في ميزان حسنات الوالدين.

وفي "مصنف ابن أبي شيبة" بلفظ:

"الولد من كسب أبيه"

وفي سنن أبي داود وابن ماجه عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي قال:

"بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله، هل بقي على من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم. الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما"
— الصلاة هنا بمعنى: الدعاء.

ومن هنا يتبين مدى أهمية طلب الذرية الصالحة التي يكون الآباء بعد موتهم في أشد الحاجة لدعائهم وطلب الاستغفار لهم.

فقد أخرج البزار من حديث أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:

" سبعة يجري للعبد أجورهن وهو في قبره بعد موته: مَنْ عَلمَ علماً، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته "

وفي مسند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال:

" أربعة تجرى عليهم أجورهم بعد الموت: مَنْ مات مرابطاً في سبيل الله، مَنْ عَلمَ علماً أجرى له عمله ما عَمِلَ به، وَمَنْ تصدق بصدقة فأجرها يجرى له ما وجدت، ورجل ترك ولداً صالحاً فهو يدعو له "

ومن خلال ما سبق يتبين أن الولد الصالح نعمة عظيمة، كما قال ربنا ﷻ:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَلَيْسَ الْبَاطِلُ يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَتِ
اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (النحل: ٧٢).

وحيث إن الولد نعمة فيستحب طلب هذه النعمة والسعي إليها.

كما قال الله تعالى: ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٧).

يقول ابن كثير في تفسيره (١/٢٢٠): قال ابن عباس: هو الولد

وكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن البصري والضحاك والسدي.

وقال قتادة: ابتغوا الرخص التي كتب الله لكم (أي: من مجامعة النساء بالليل).

وعن ابن عباس في رواية أخرى: أي: ابتغوا ليلة القدر.

قال ابن جرير الطبري في "تفسيره" (٢/١٧٠):

والصواب من القول في تأويل ذلك عندي أن يقال: أن الله تعالى ذكره قال: ﴿وَأَبْتَغُوا﴾

بمعنى: اطلبوا ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يعني: الذي قضى الله تعالى لكم

ثم قال — رحمه الله —: وقد يدخل في قوله تعالى: ﴿وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ جميع معاني الخير

المطلوبة، غير إن أشبه المعاني بظاهر الآية قول من قال معناه: ابتغوا ما كتب الله لكم من الولد لأنه

عقيب قوله تعالى: ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ﴾ بمعنى: جامعوهن

فلأن يكون قوله تعالى: ﴿وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾. بمعنى: وابتغوا ما كتب الله لكم من مباشرتكم إياهن

من الولد والنسل أشبه بالآية من غيره من التأويلات التي ليس على صحتها دلالة من ظاهر التنزيل

ولا خبر من الرسول ﷺ. أهـ

— وقد جمع هذه الأقوال الإمام المحقق ابن القيم — رحمه الله — ما ملخصه:

أن الله لما أباح الجماع ليلة الصوم أرشدهم أن يطلبوا رضاه في مثل هذه اللذة بطلب الولد، وأن لا

يشغلهم ذلك عن طلب والتماس ليلة القدر.

ولقد جاءت السنة أيضاً تحت على طلب الولد:

فقد أخرج أبو داود وغيره عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال:

"جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال له: إني أحببت امرأة ذات حسب ومنصب، إلا أنها لا تلد أفأتزوجها؟ فنهاه، ثم أتاه الثانية؟ فنهاه، ثم أتاه الثالثة؟ فنهاه، فقال: تزوجوا الودود الولود فإنني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة "

- وهذه النعمة التي أعطاك الله إياها، ستسأل عنها يوم القيامة، هل حفظت أم ضيَّعت؟ فالأولاد وتربيتهم مسئولية يسأل عنها الآباء أمام الله ﻋَﻠَﻴْﻬِ يوم القيامة فلن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عما استرعاه، أحفظ أم ضيع

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل راعٍ في بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيته".

قال الإمام النووي - رحمه الله -:

الراعي هو الحافظ المؤمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته. أھـ
وقول النبي ﷺ: "وكلكم مسئول عن رعيته" أي: في الآخرة، فإن وفى ما عليه تجاه الولد من الناحية الصحية والجسدية، وتوفير القوت، والملبس، والمسكن، حيث إن الطفل لا يستطيع أن يوفر ذلك لنفسه، وكذلك يوفي ما عليه من ناحية التربية، فيربيه على المبادئ الإيمانية السامية، حيث إن الطفل يولد وعقله وقلبه صفحة بيضاء، يستوعب ما ينقش فيه ويتعلم ما يملأ عليه.

كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾ (النحل: ٧٨)

فإن ربِّي الولد على الخير نشأ عليه وأصبح باراً بوالديه يدعو لهما ويقول:

﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ (الإسراء: ٢٤)

فشكر الولد حسن صنيع الوالدين، حيث بذلا المجهود الكبير في تربيته حتى استقام على دينه واستغنى بنفسه عن غيره.

وأما إذا ضيعا وفرطا في تربية الولد، فإنه سيخرج عضواً فاسداً، ومعول هدم، وعاقاً لوالديه.

فالولد كما هو مسئولية فهو أمانة عند والديه وسيئالاً عنه يوم القيامة

قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب: ٧٢)

وإن كانت الأمانة هي التكليف الشرعية، إلا أنها بمفهومها أعم وأشمل من ذلك فالإحسان إلى الأولاد وتربيتهم تربية إسلامية صحيحة أداء للأمانة، وإهمالهم والتقصير في حقوقهم غش وخيانة؛ لأنهم لم يعملوا بوصية الله لهم.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم: ٦)

قال الشافعي - رحمه الله - في هذه الآية:

على الآباء والأمهات تعليم أولادهم الصغار ما يتعين عليهم بعد البلوغ، فيعلمه الولي الطهارة والصلاة والصوم... ونحوه، ويعرفه تحريم الزنا واللواط.

وقال الحسن البصري - رحمه الله -:

أي: مروهم بطاعة الله وعلموهم الخير.

وقد ذهب ابن القيم - رحمه الله - إلى وجوب تأديب الأولاد وتعليمهم بهذه الآية.

- وقد نقل ابن كثير في تفسير هذه الآية قول الإمام علي رضي الله عنه حيث قال:

"علموهم وأدبوهم"

وكذلك نقل هذا الكلام الإمام النووي عن مجاهد وقتادة

أهمية التربية ووجوبها :

ولهذا وصانا الله تعالى وأمرنا بحسن التربية ورعاية الذرية، فقال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾

(النساء: ١١)

وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - أدلة كثيرة على وجوب التربية منها:-

١ - ما أخرجه الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال:

"مروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع"

٢ - وفي مسند الإمام أحمد بسند فيه مقال:

"ما نحل والدٌ ولداً أفضل من أدب حسن"

٣ - وفي "المسند" أيضاً وعند ابن حبان كذلك:

لأن يؤدب أحدكم ولده، خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع على المساكين.

٤ - وفي شعب الإيمان للبيهقي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال:

"أدب ابنك فإنك مسئول عنه ماذا أدبته؟ وماذا علمته؟ وهو مسئول عن برِّك وطواعيته لك"

فأمر التربية خطير، فمن ربّي على طاعة الله عَصِمَ ووقى النار، ومن قصر وأهمّل في أمر التربية، فلم يق نفسه ولا أهله النار، وكان عرضة لغضب الجبار.

قال الغزالي - رحمه الله -:

اعلم أن الطريق في رياضه الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهر نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل شيء، ومائل إلى كل ما يُمال به إليه، فإن عُوِدَ الخير وعُلِّمَ ونشأ عليه، سعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوِدَ الشر وأهمّل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والولي له. أهـ

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه: واقرءوا إن شئتم: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (الروم: ٣٠)

— كما تنتج البهيمة بهيمة: معناه أن البهيمة تلد بهيمة كاملة الأعضاء لا نقص فيها، وإنما يحدث فيها الجدع والنقص بعد ولادتها. أهـ (النووي)

— جمعاء: مجتمعة الأعضاء سليمة من نقص لا توجد فيها.

— جدعاء: وهي مقطوعة الأذن أو غيرها من الأعضاء.

وقال الحافظ ابن حجر — رحمه الله — في شرح هذا الحديث: قال القرطبي في المفهم:

المعنى أن الله خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات، فما دامت باقية على ذلك القبول على تلك الأهلية أدركت الحق، ودين الإسلام هو الحق، وقد دلَّ على هذا المعنى بقية الحديث، حيث قال: "كما تنتج البهيمة" يعني أن البهيمة تلد الولد كامل الخلقة، فلو ترك كذلك كان بريئاً من العيب، لكنهم تصرفوا فيه بقطع أذنه، فخرج عن الأصل وهو تشبيهه ووجهه واضح... والله أعلم. أهـ

ونرى في هذا الحديث أن النبي ﷺ أخبر أن الطفل حين يولد يولد على الفطرة السليمة القابلة للخير، وإنما تتحرف هذه الفطرة وتتغير بسوء التربية والقوة السيئة.

كما قال القائل:

وَيَنْشَأُ نَاشِئًا الْفِتْيَانِ مِنَّا عَلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ أَبُوهُ

فالواجب على الآباء أن يحيطوا بالأبناء بالحفظ والرعاية وحسن التربية، خاصة وأن الشيطان توعد

الإنسان، فقال له رب العزة: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾

(الإسراء: ٦٤)

فيحاول الشيطان أن يشارك في تربية الأولاد، ويجعل الآباء ينحرفون بأبناءهم عن الطريق القويم والصراط المستقيم هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنه يشارك في تربية الأولاد كل من: وسائل الإعلام بأشكالها المختلفة من تليفزيون أو دش أو فيديو أو كمبيوتر أو مجلات، والبرامج التي ربما لا تخلو من خياليات وخرافات وخزعبلات وحياة الأساطير والتي تؤثر على شخصية الطفل.

أضف إلى ذلك دور المدرسة والمناهج التعليمية، وكذلك أصدقاء المدرسة وأبناء الجيران... وغير ذلك من الوسائل، والتي تؤثر في تربية الولد بشكل أو بآخر. ومن هنا يأتي دور الآباء وأهمية التربية الصحيحة، وذلك عن طريق تجنب الأولاد وسائل الفساد بأشكالها المختلفة. وأن يدفعوا بأبنائهم إلى المربين الصالحين، كما كان يفعل السلف الصالح حيث كانوا قديماً ينتقون لأولادهم أفضل المربين علماً، وأحسنهم خلقاً، وأميزهم أسلوباً وطريقة، وذلك ليتعلم الولد منه.

وهذه باقة من أخبارهم

روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدب قال له:

ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلمهم سير الحكماء، وأخلاق الأدباء، وتهدهم بي، وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء، حتى يعرف الداء، ولا تتكلم على عذر مني، فإنني اتكلت على كفاية منك.

وروى ابن خلدون في "مقدمته": أن هارون الرشيد لما دفع ولده الأمين إلى المؤدب

قال له: يا أحمد: إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمره قلبه، فصير يدك عليه مبسوطه، وطاعتك له واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين. أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروّه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمنع في مسامحته، فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوم ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهها فعليك بالشدة والغلظة.

وقال عبد الملك بن مروان – ينصح مؤدب ولده –:

علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، واحملهم على الأخلاق الجميلة، وروهم الشعر يشجعوا وينجدوا، وجالس بهم أشرف الرجال وأهل العلم منهم، وجنبهم السفلة والخدم فإنهم أسوأ الناس أدباً، ووقرهم في العلانية وأنبهم في السر، واضربهم على الكذب، فإن الكذب يدعو إلى الفجور، وإن الفجور يدعو إلى النار.

وقال الحجاج لمؤدب بنيه:

علمهم السباحة قبل الكتابة، فإنهم يجدون من يكتب عنهم، ولا يجدون من يسيح عنهم.

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل الشام يقول لهم:

"علموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية"

وقال أحد الحكماء لمعلم ولده:

لا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن اصطكاك العلم في السمع، وازدحامه في الوهم مضلة للفهم.

ومن وصية ابن سينا في تربية الولد:

أن يكون مع الصبي في مكتبه صبية حسنة آدابهم، مرضية عاداتهم؛ لأن الصبي عن الصبي ألحن، وهو عنه آخذ، وبه أنس.

قال هشام بن عبد الملك لسليمان الكلبى مؤدب ولده:

إن ابني هذا هو جلدة ما بين عيني، وقد وليتك تأديبه، فعليك بتقوى الله، وأدّ الأمانة، وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله، ثم روه من الشعر أحسنه، ثم تخلل به في أحياء العرب، فخذ من صالح شعرهم وبصره طرفاً من الحلال والحرام، والخطب والمغازي. (تربية الأولاد في الإسلام: ١/١٥٤)

— وهكذا كان السلف الصالح يحرصون على تربية أولادهم تربية إسلامية متكاملة خلقياً وفكرياً وجسمانياً، ويغرسون فيهم معاني الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ويعودونهم حب الله ورسوله، ومراقبة الله في السر والعلن، ويعلمونهم أحكام الحلال والحرام، ويجنبونهم الكذب، والسرقه، والسباب والشتائم، والخلطة الفاسدة، والميوعة والانحلال، والقذوة السيئة، ويستحثونهم على الرياضات البدنية النافعة، كما مرّ بنا قول عمر رضي الله عنه لأهل الشام

صفة المربي

قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّاتَيْنِ بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: ٧٩)

قال المفسرون: الرباني هو الحكيم المصلح، العالم بسياسة الناس والقائم على مصالحهم، ومن هنا تسمى المؤدب بالحكيم وبالمصلح، ومن هنا أيضاً وُصف لقمان بالحكمة لما كان منه من تربية ابنه ونصحه إياه وإصلاحه له.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ (لقمان: ١٢)

ثم بين تعالى الحكمة التي آتاها لقمان بقوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣)

وغير ذلك من الوعظ والإرشاد والنصح لابنه، مثل قوله تعالى: ﴿وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ (لقمان: ١٩)

– وجاء أيضاً عن السلف الصالح في معنى الرباني: أنه العامل العالم المعلم

قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّاتِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتَ﴾ (المائدة: ٦٣)

– قال ابن عباس في معنى الرباني: حكماء فقهاء

– وقال البخاري: ويقال: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره.

– وقال الأصمعي والإسماعيلي: الرباني نسبة إلى الرب، أي: الذي يقصد ما أمره الرب بقصده من العلم والعمل (أي: لا يعمل ولا يتعلم إلا ما أمره الله به)

فيتلخص مما سبق أن صفات المربي هي:

- الحكمة.
- الخبرة بسياسة الناس.
- الصلاح.
- الإصلاح.
- القيام بمصلحة الناس.
- عالم عامل معلم.

فأمر التربية أمر خطير جد خطير والسلامة لا يعدلها شيء

ومن هنا كان علينا أن ننهج المنهج الإسلامي الواضح وذلك لمن أراد الولد الصالح

وقبل الشروع في بيان المنهج الإسلامي الواضح لكيفية تحصيل الولد الصالح فهناك كلمة لمن حُرِمَ نعمة الأولاد

من المعلوم أن الأولاد نعمة من الله تعالى على العبد وهم زينة الحياة الدنيا، كما قال تعالى:

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا ﴾ (الكهف: ٤٦)

فالناس جبلوا على محبة الأولاد، كما قال تعالى: ﴿ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾

(آل عمران: ١٤)

ومن الناس من يُبتلى ويُختبر بأن يُحرم من هذه النعمة لحكمة يعلمها الله تعالى، فعلى العبد بداية أن يسلم بما قضى الله تعالى ويرضى، فهذا اختبار من الله تعالى ليعلم الصادق من الكاذب

كما قال تعالى: ﴿ الْم ١ ﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿ ٢ ﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿ العنكبوت: ١-٣ ﴾

ومع هذا فلا مانع من الأخذ بالأسباب مع الاعتماد على مسبب الأسباب، ومن هذه الأسباب:-

١ - الذهاب إلى الأطباء للعلاج والأخذ بالأسباب.

٢ - الدعاء

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن سلمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"إن الله تعالى حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين"

(صحيح الجامع: ١٧٥٧)

قال تعالى مخبراً عن قصة نبيه زكريا مع مريم - عليهما السلام -:

﴿ كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾ قال مجاهد: وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء،

وفاكهة الشتاء في الصيف، ﴿ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا ﴾ أي: من أين لك هذا؟ ﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران: ٣٧)، ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾ أي: في ذلك الوقت الذي رأى فيه

زكريا كرامة الله لمريم دعا ربه متوسلاً ومتضرعاً: ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾

(آل عمران: ٣٨)

فجاءته الإجابة في التو واللحظة: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا

بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: ٣٩)

ويخبرنا الحق - جل وعلا - في سورة الأنبياء أنه دعا بهذا الدعاء:

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَهُ

إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٩ - ٩٠)

٣- التقوى

وقد اختلفت تعبيرات العلماء في تعريفها، إلا أنها تدور كلها حول معنى واحد وهو: أن يجعل الإنسان بينه وبين عذاب الله وقاية، وذلك بفعل المأمور واجتناب المحذور، قال تعالى:

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ﴿٢﴾ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢-٣)

والأولاد رزق من عند الله - جل وعلا -

٤- الاستغفار

فالاستغفار سبب في رفع قدرة الزوج على إتيان زوجته (وهذا استنباط استنبطه الإمام العلامة ابن تيمية - رحمه الله -) من خلال قوله تعالى:

﴿يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾

(هود: ٥٢)

فالشاهد هو قوله تعالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ فإن الله يعطي الرجل قوة فوق قوته لكثرة

استغفاره، وكذلك الاستغفار سبب في جميع أنواع الرزق بعمومها وشمولها، قال تعالى:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ ﴿١٠﴾ ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ﴿١١﴾ ﴿وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ

لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ ﴿١٢﴾ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (نوح: ١٠-١٣) فجاء التصريح في تلك

الآيات بأن الاستغفار سبب في الرزق بالأولاد، في قوله: ﴿وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾

فيا من حرمت نعمة الأولاد...

إذا أخذت بالأسباب ولم يقدر الله لك الولد، فعليك أن ترضى بقضاء الله تعالى، فهو القائل:

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِبْنًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ (الشورى: ٤٩-٥٠)

فعلق الله ﷻ هذا العقم بمشيئته تعالى، وانظر كيف ختم الله تعالى الآية بقوله تعالى:

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ فهو يعلم ما يصلح العبد، فربما منع الله العبد الولد؛ لأنه سبحانه يعلم أنه سيكون فتنة له، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ (التغابن: ١٤-١٥)

وكما قال النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه الحاكم والطبراني:

" إن الولد مَبْخَلَةٌ مَّجْبَنَةٌ مَجْهَلَةٌ مَحْزَنَةٌ "

(صحيح الجامع: ١٩٩٠)

وعند أبي يعلى بسند ضعيف من حديث أبي سعيد أن النبي ﷺ قال:

" الولد ثمرة القلب وأنه مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ مَحْزَنَةٌ "

(وفيه عطية العوفي وهو ضعيف، ضعفه الألباني في الضعيفة: ٤٧٦٤، وضعيف الجامع: ٦١٦٥)

بل انظر إلى قصة سيدنا الخضر مع الغلام الذي قتله، وقد جاء ذكرها في سورة الكهف لما قال الخضر معللاً سبب قتله للغلام: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴿٨١﴾﴾ (الكهف: ٨٠-٨١)

أخرج الإمام مسلم عن أبي بن كعب ؓ عن النبي ﷺ قال:

"الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً، ولو عاش لأرهم أبويه طغياناً وكفراً"

وكم من أناس رزقهم الله الأولاد، فلما ذاقوا مرارة العقوق، تمنوا أن لو كان الله حرمهم من نعمة الأولاد. أو ربما يرزق العبد بولد معاق ذهنيّاً أو جسديّاً يفسد عليه عيشه ويهلكه صحياً ومالياً، أو يرزق بولد يتعاطى المخدرات والخمور، أو ببنت تضل السبيل وتسلك مسلك السوء.

- فربما حرم الله العبد الولد ليحميه من هذا كله؛ لأنه يحبه ولا يريد به إلا الخير، فعلى العبد أن يرضى بقضاء الله تعالى، فالله لا يقضي قضاءً إلا وهو خير.

وفي الحديث: "لا يقضي الله لمؤمن قضاء إلا كان خيراً له"

فعلى المسلم أن يتلقى قضاء الله بصدر رحب، وبقلب راضٍ مطمئن

وبعد هذه المقدمة، فما هو المنهج الإسلامي الواضح للحصول على الولد الصالح؟
إن هذا المنهج يبدأ أولاً في:

أولاً: اختيار الزوجة الصالحة

ومن أهم الأسباب التي تُعين على صلاح الأبناء، اختيار الزوجة الصالحة، التي هي بمثابة التربة الخصبة التي تخرج لنا نباتاً طيباً.
فعلى الرجل أن يحسن اختيار الزوجة، والتي ستكون أمّاً لأولاده، وبها يتأسون، ومن ثديها وأخلاقها يرضعون.

"رُوي أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه، فأُنبِ عمر الولد على عقوقه لأبيه، فقال الابن: يا أمير المؤمنين، أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى، قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه القرآن، فقال الابن: يا أمير المؤمنين إنه لم يفعل شيئاً من ذلك. أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سماني جعراناً، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً، فالتفت أمير المؤمنين إلى الرجل وقال له: أجنبت إليّ تشكو عقوق ابنك. وقد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك.

يقول الشاعر:

وأخلاق الوليد تقاس حسناً	بأخلاق النساء الوالدات
وليس ربيب عالية المزاي	كمثل ربيب سافلة الصفات
وكيف يظن بالأبناء خير	إذا نشأوا بحضن الجاهلات

فلا بد من انتقاء المرأة، والتي هي بمثابة الوعاء البشري الذي يحمل الولد، والصدر الحنون الذي سيرضعه، والنفس الطاهرة التي ستُعني به. فالإنسان يبدأ بتربية ابنه قبل ولادته.

يقول أحد الحكماء:

ابدأ بتربية ابنك قبل ولادته بعشرين عاماً.

— ولقد وضع لنا الإسلام أسساً من خلالها يتم اختيار الزوجة أهمها: —
أن تكون ذات دين:

١ - قال الله تعالى: ﴿وَلَا أَمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢١).

٢ - وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"
٣ - والله تعالى يصف الزوجات الصالحات بقوله:

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَاتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء: ٣٤).

— القانتات: المطيعات للأزواج.

— الحافظات للغيب: أي إنهن يحفظن الأزواج في غيابهم، وفي أموالهم، وفي أنفسهن.

٤ - وأخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ:
"الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة"

فالزوجة الصالحة هي سر زوجها الدفين، وبئره العميق، أم عياله، وأمينه ماله، تقرّ عين الزوج برؤيتها، وهذا يخلق جواً من المودة والرحمة، وينشر السكينة والطمأنينة بين الزوجين مما يجعل له آثار طيبة على تربية الولد.

وصدق الشاعر حيث قال:

تهذيبها كحضن الأمهات
بتربية البنين والبنات
بأخلاق النساء الوالدات

ولم أر للخلائق في محل
فحضن الأم مدرسة تسامت
وأخلاق الوليد تقاس حسناً

ويستحب أن تكون هذه المرأة الدِّينَةُ ذات نسب (أي: من أسرة طيبة)

فالولد قد ينزع إلى أحد أخواله أو أحد أعمامه أو أجداده.

فقد أخرج البخاري: "إن رجلاً جاء النبي ﷺ، فقال له: يا رسول الله: امرأتي ولدت غلاماً أسوداً، فقال النبي ﷺ: عسى أن يكون نزع عرق".

— العرق: الأصل في النسب

— ومعنى نزع: أي أشبهه وأظهر لونه عليه، فدلّ هذا على أن الأغلب أن يشابه الولد أباه أو أمه، وقد ينزع إلى أخواله أو أعمامه، فالولد مرتبط بأسلافه من جهة الأب ومن جهة الأم، فهو يأخذ ويرث من كل طبقة من هذه الأجيال قدراً من الصفات والسمات.

ولهذا قال النبي ﷺ كما عند ابن ماجه والحاكم بسند حسن وهو في السلسلة الصحيحة (١٠٩٧) وهو في صحيح الجامع (٢٩٢٨):

"تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم"

وأثنى النبي ﷺ على نساء قريش ذوات النسب الشريف فقال كما عند البخاري:

"نساء ركن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده"

— أحناه: أي أكثر شفقة على الأولاد.

— والحانية على ولدها: هي التي تقوم عليه إذا مات الأب فلا تتزوج.

فالنبي ﷺ أثنى على القرشيات ذوات النسب، فعندهن في الغالب من الحنان على الأطفال والرعاية للأزواج ما ليس عند غيرهن.

وها هو عثمان بن أبي العاص يقول لبنيه:

"يا بني، لقد أمجدتكم في أمهاتكم، والناكح مغترس، فليُنظر كل امرئ منكم حيث يضع غرسه، والعرق السوء قلما ينبج ولو بعد حين".

ويقول الآخر لأبنائه:

لما جدّه الأعراقِ بادٍ عفافها

وأول إحسانى إليكم تخيري

فالأولاد يرثون في الغالب من الآباء والأجداد الصفات الخلقية والخلقية.

وها هي فاطمة بنت الرسول ﷺ أتت عائشة ومشيتها كمشية أبيها، وسمتها كسمته، ودلها كدله.

فقد أخرج أبو داود بسند صحيح عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -:

"ما رأيت أحداً أشبه سمتاً وهدياً ودلاً برسول الله ﷺ من فاطمة - كرم الله وجهها -"

وعند البخاري من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت:

"أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ"

وها هو يوسف عليه السلام:

الذي أوتي شطر الحسن كانت جدته سارة - عليها السلام - من أجمل النساء.

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الكذبات الثلاث وفيه:

"وواحدة في شأن سارة فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس".

إذا ينبغي أن تكون الزوجة مع حسن أخلاقها وتدينها ذات نسب صالح من أسرة طيبة، فهذا أفضل وأكمل.

ألا ترى أن قوم مريم - عليها السلام - قالوا لها:

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ (مريم: ٢٨)

أي: يا أخت هارون، الرجل الصالح أبوك كان رجلاً فاضلاً خيراً، ما علم عنه السوء ولا أتى بفاحشة، وأمك كذلك كانت من الصالحات، ولم تكن من البغايا الزواني، فكيف أتيت بهذا الولد؟؟ ومن أين جاءك؟؟ (فقه تربية الأبناء ص ٢٩-٣٠)

إذا من المسلم به عند الناس، والراسخ في أذهانهم أن الصالح لا يمكن أن يأتي بغير الصالح، وهذا هو الشاهد من الآية.

تنبيه:

شرف النسب وحده لا يعني شيئاً ما لم يتوج بخلاق وتقوى ودين، فمن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه

- ولذلك فقد وضع الإسلام الشريف أبا لهب لكفره، ورفع سلمان الفارسي وصهيباً الرومي وبلاًلاً الحبشي لإيمانهم.

- وأهلك الله ولد نوح عليه السلام، وأبا إبراهيم عليه السلام، وعم النبي ﷺ

لهذا السبب أيضاً رفض النبي الشفاعة في امرأة مخزومية سرقته.

وأعلنها مدوية في أسماع كل من يتخذون شرف النسب ستاراً يخفون وراءه خطاياهم.

فقد أخرج البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال:

"والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"

فلو أن لنسب المرأة شرفاً في ذاته لقبل النبي شفاعتها.

ويستحب أن يضاف إلى الدين والنسب، السلامة من الأمراض المنفرة والتي قد تنتقل إلى الأولاد بالوراثة:

ولا مانع شرعاً أن تذهب إحدى النساء الأمينات؛ لتتفقد العروس لتخبر الزوج بصفاتهما، وهذا كله من أجل اطمئنان الزوج على سلامة العروس من الآفات والأمراض، وصلاحية جسمها لتحمل دور المربية بعد ذلك.

ومن هذه الأمراض على سبيل المثال: البرص والجذام.

قال ابن قدامة كما في "المغني" (٦/٦٥١):

وإنما اختص الفسخ بهذه العيوب؛ لأنها تمنع الاستمتاع المقصود بالنكاح؛ فإن الجذام والبرص يثيران نفرة في النفس تمنع قربانه، ويخشى تعديه إلى النفس والنسل.

ويستحب أن يضاف إلى الدين والنسب والسلامة من الأمراض، الاغتصاب في نكاحها:

قال ابن قدامة كما في "المغني" (٨/٥٦٧):

ويختار الأجنبية فإن ولدها أحب، ولهذا يقال: "اغتربوا لا تضووا"

أي: انكحوا الغرائب كي لا تضعف أولادكم، ولأنه لا تؤمن العداوة في النكاح وإفضاؤه إلى الطلاق، فإن كان في قرابة أفضى إلى تقطيع الرحم المأمور بصلتها.

فمن أراد الحصول على الولد الصالح، فلا بد عليه أن يبدأ بحسن اختيار الزوجة الصالحة، والتي هي بمثابة المصنع الذي سيصنع فيه الأولاد، وهي المدرسة التي سيتخرجون منها.

وصدق الشاعر حين قال:

أعددت شعباً طيب الأعراق
بالري أورك أيما إبراق
شغلت مآثرهم مدى الآفاق

الأم مدرسة إذا أعددتها
الأم روض إن تعهده الحيا
الأم أستاذ الأساتذة الألى

وهذه نماذج تخرجت من مدرسة الأم:-

ها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

تخير لنطفة ابنه عاصم ذات الدين، فكان من ثمرة هذا الزواج الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز (والقصة ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة)

فقد حكى الميداني: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بسوق الليل، وهي من أسواق المدينة، فرأى امرأة معها لبن تبيعه ومعها بنت لها شابة، وقد همت العجوز أن تمزق لبنها - أي تخلطه بالماء - فجعلت الشابة تقول: يا أمي لا تمزقيه ولا تغشيه، فوقف عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: من هذه منك؟ قالت: ابنتي، فأمر عاصماً فتزوجها، وهي جدة عمر بن عبد العزيز لأمه".

الزبير بن العوام رضي الله عنه:

قامت بأمره أمه صفية بنت عبد المطلب فنشأ على طبعها وسجيتها، وكذلك أولاد الزبير العظماء عبد الله، والمنذر، وعروة هم ثمرات أمهم أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهم -.

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه:

تنقل في تربيته بين صدرين من أملاً صدور العالمين حكمة، فكان مغداه على أمه فاطمة بنت أسد، ومراحه على خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

وها هو عبد الله بن جعفر رضي الله عنه:

سيد أجواد العرب وأنبأ فتيانهم، تركه أبوه صغيراً، فتعاهدته أمه أسماء بنت عمير، ولها من الفضل والنبأ ما لها.

وها هو معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه:

ورث من هند بنت عتبة ما لم يرث عن أبي سفيان، فقد دخل على هند أحد أقاربها، وهي تحمل صغيرها معاوية بن أبي سفيان، فقال لها: إن عاش معاوية ساد قومه، فقالت: تكلته إن لم يسد إلا قومه.

وكان معاوية رضي الله عنه إذا نوزع الفخر بالمقدرة وجوزب بالمباهاة بالرأي انتسب إلى أمه فصنع أسماع خصمه، بقوله: أنا ابن هند.

وها هو أمير المؤمنين عبد الرحمن بن الناصر - رحمه الله - :

الذي ولي الأندلس، وهي ولاية تميد بالفتن، وتشرق بالدماء، فما لبثت إن قرت له وسكنت لخشيته، ثم خرج في طليعة جنده، فافتتح سبعين حصناً في غزوة واحدة، ثم أمعن بعد ذلك في قلب فرنسا، وتغلغل في سويسرا وضم أطراف إيطاليا.

أتدري ما سر هذه العظمة، وما مهبط وحيها ؟ إنها المرأة وحدها، فقد نشأ عبد الرحمن يتيماً، قتل عمه أباه فتفردت أمه بتربيته، فكان من أمره ما علمت.

وسفيان الثوري :

وما أدراك ما سفيان الثوري ؟ إنه فقيه العرب ومحدثهم، وأحد أصحاب المذاهب الستة المتبوعة، إنه أمير المؤمنين في الحديث الذي قال فيه زائدة: الثوري سيد المسلمين

وقال الأوزاعي: لم يبق من تجتمع عليه الأمة بالرضا إلا سفيان.

وما كان ذلك الإمام الجليل، والعلم الشامخ إلا ثمرة أم صالحة، حفظ التاريخ لنا مآثرها وفضائلها ومكانتها وإن كان ضنّ علينا باسمها.

روى الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - بسنده عن وكيع قال:

قالت أم سفيان لسفيان: يا بني. اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي فكانت - رحمها الله - تعمل وتقدم له ليتفرغ للعلم، وكانت تتخوله بالموعظة والنصيحة

قالت له ذات مرة فيما يرويه الإمام أحمد أيضاً:

يا بني إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك، وحلمك ووقارك، فإن لم تر ذلك فاعلم إنها تضرك ولا تنفعك.

فهل ترى من غرابة بعد هذا أن نرى سفيان يتبوأ منصب الإمامة في الدين، كيف وهو قد ترعرع في كنف مثل هذه الأم الرحيمة، وتغذى بلبن تلك الأم الناصحة التقية.

الإمام الثقة الثبت إمام أهل الشام وفقههم أبو عمرو الأوزاعي:

يقول فيه أبو إسحاق الفزاري: ما رأيت مثل رجلين: الأوزاعي والثوري، فأما الأوزاعي فكان رجل عامة، والثوري كان رجل خاصة، ولو خيرت لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعي؛ لأنه كان أكثر الناس توسعاً وكان والله إماماً.

قال النووي - رحمه الله -:

وقد أجمع العلماء على إمامة الأوزاعي، وجلالته، وعلو مرتبته، وكمال فضله، وأقاويل السلف - رحمهم الله - كثيرة ومشهورة، مصرحة بورعه وزهده وعبادته، وقيامه بالحق، وكثرة حديثه وغزارة فقهه، وشدة تمسكه بالسنة، وبراعته بالفصاحة، وإجلال أعيان أئمة عصره من الأقطار له، واعترافهم بمرتبته... ذلك الحبر البحر كان أيضاً ثمرة أم عظيمة.

قال الذهبي وقال الوليد بن يزيد البيروني: ولد الأوزاعي ببعلبك وربى يتيماً فقيراً في حجر أمه

ربيعة الرأي - رحمه الله - شيخ الإمام مالك:

يقول ابن خلكان: كان فروخ أبو ربيعة، خرج إلى البعوث إلى خراسان أيام بنى أمية، وربيعة حمل في بطن أمه، وخلف عند زوجته - أم ربيعة - ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرساً وفي يده رمح، فنزل ودفع الباب برمحه. فخرج ربيعة وقال: يا عدو الله أتتهجم على منزلي؟ فقال فروخ: يا عدو الله أنت دخلت على حرمي؟ فتواثبا حتى اجتمع الجيران، وبلغ مالك بن أنس فأتوا يعينون ربيعة، وكثر الضجيج وكل منهما يقول: لا فارقتك، فلما بصروا بمالك سكتوا، فقال مالك: أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار.

فقال الشيخ: هي داري وأنا فروخ، فسمعت امرأته كلامه فخرجت، وقالت: هذا زوجي وهذا ابني الذي خلفه وأنا حامل به فاعتنقا جميعاً وبكيا، ودخل فروخ المنزل، وقال: هذا ابني؟ فقالت: نعم، قال: أخرجي المال الذي عندك، قال: تعرض، قد دفنته وأنا أخرجه، ثم خرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقتة، فأتاه مالك والحسن، وأشرف أهل المدينة وأصدق الناس به.

فقالت أمه لزوجها فروخ: أخرج فصل في مسجد رسول الله ﷺ، فخرج فنظر إلى حلقة وافرة، فأتاها فوقف عليها، فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره، وعليه قلنسوة طويلة، فشك أبوه فيه، فقال: من هذا الرجل؟ فقيل: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فقال: لقد رفع الله ابني، ورجع إلى منزله، وقال لوالدته: لقد رأيت ولدك على حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها.

فقالت أمه: فأيما أحب إليك؟ ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه؟ فقال: لا والله بل هذا

فقال: أنفقت المال كله عليه، فقال: والله ما ضيعتيه" (عودة الحجاب ٢ / ١٤١ - ١٤٥).

فهؤلاء العظماء وغيرهم كان من ورائهم أم عظيمة، كانت تغذيهم الإيمان مع الطعام، وتسقيهم الفضائل والأخلاق مع اللبن، فجاء هؤلاء الرجال العظماء الذين قادوا البشرية إلى الخير والرشاد، وطاروا أسماؤهم بالآفاق.

❖ ثانياً: الحرص على اختيار الزوج الصالح ❖

فكما إن حسن اختيار الزوج لزوجته من أسباب صلاح الولد، فكذلك حسن اختيار الزوجة لزوجها من أسباب صلاح الولد.

وكما قيل: إن الرجل والمرأة كالبيت من الشعر، ولا يحسن في البيت من الشعر أن يكون شطره محكماً، والشرط الآخر متخاذلاً.

فيستحب للزوجة أن تختار لأبنائها أباً صالحاً ذا أخلاق ودين.

فقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"

(السلسلة الصحيحة ١٠٢٢)

يقول الدكتور/ عبد الله ناصح علوان كما هو في "تربية الأولاد" (٣١/١):

وأية فتنة أعظم على المرأة الصالحة من أن تقع في عصمة زوج إباحي فاجر، يكرهها على السفر والاختلاط، ويجبرها على احتساء الخمر ومراقبة الرجال.

فكم من فتاة — ويا للأسف — كانت بين أهلها مثلاً للعفة والطهارة، فلما انتقلت إلى بيت إباحي وزوج متحلل فاجر، انقلبت إلى امرأة مهتكة مستهترة، لا تقيم لمبادئ الفضيلة أي قيمة، ولا لمفاهيم العفة والشرف أي اعتبار. ومما لاشك فيه أن الأولاد حين ينشئون في مثل هذا البيت المتحلل الماجن الآثم، فإنهم سينشئون لا محالة على الانحراف والإباحية، ويتربون على الفساد والمنكر.

إذاً فالاختيار على أساس الدين والأخلاق من أهم ما يحقق للزوجين سعادتهما الكاملة المؤمنة، وللأولاد تربيتهم الإسلامية الفاضلة وللأسرة شرفها الثابت واستقرارها المنشود. أهـ

فعلى المرأة أن تختار لأبنائها أباً صالحاً؛ لأن صلاح الأب يكون معه صلاح الأبناء.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾ (الكهف: ٨٢)

فترى هنا في هذه الآية إن صلاح الآباء عاد على الأبناء — في الغالب — وأقول في الغالب؛ لأن من المعهود أن الأرض الطيبة لا تنبت إلا نبتاً صالحاً، كما قال الله تعالى:

﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣٤).

لكن قد نلاحظ خروجاً عن هذه القاعدة كما هو الحال مع نبي الله نوح عليه السلام وابنه الذي مات كافراً، وهذه لحكمة يعلمها الله سبحانه حتى لا يركن الإنسان إلى نفسه، ويظن أنه بصلاحه سيرزق الولد الصالح دون الأخذ بأسباب صلاح الولد: من اختيار الزوجة، وطلب الرزق الحلال، والدعاء، والتسمية عند الجماع، وغير ذلك من أسباب صلاح الأبناء والتي سنذكرها تباعاً بمشيئة الله.

— فلحرص الرجل على الذرية الصالحة، فإنه يأخذ بأسباب صلاح الأبناء، وكذلك يحرص على صلاح نفسه رجاء أن يحفظ الله أولاده.

فقد كان سعيد بن المسيب يقول لابنه:

لأزیدن في صلاتي من أجلك رجاء أن احفظ فيك، ثم تلا هذه الآية: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾.

وها هو سهل التستري:

يتعهد ولده وهو في صلبه، فيباشر إلى العمل الصالح رجاء أن يكرمه الله تعالى بالولد الصالح، فيقول: "إني لأعهد الميثاق الذي أخذه الله تعالى علي في عالم الذر، وإني لأرعى أولادي من هذا الوقت، إلى أن يخرجهم الله تعالى إلى عالم الشهود والظهور. (حاشية ابن عابدين: ٥٣ / ١)

فصلاح الآباء ينفع الأبناء

روى البيهقي في كتاب "الاعتقاد" بسنده إلى ابن عباس:

أنه لما نزل: ﴿وَأَنْتَ نَسِيتَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩)

أنزل الله تعالى بعد ذلك: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (الطور: ٢١)

قال: يعني بإيمان، فأدخل الله ﷻ الأبناء الجنة بصلاح الأبناء.

وفي رواية: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال ابن عباس: الله ﷻ يرفع ذرية المؤمن معه في درجته في

الجنة وإن كانوا دونه في العمل ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ

عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور: ٢١) يقول: وما نقصناهم.

ويقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية (٤ / ٢٤١):

يخبر الله تعالى عن فضله وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذريتهم في الإيمان، يلحقون بآبائهم في المنزلة وإن لم يبلغوا عملهم؛ لتقرّ أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوي بينه وبين ذاك.

ولهذا قال: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الطور: ٢١)

فما أحلى اللقاء في الجنة بالأهل والأحباب، الذين كانوا يجتمعون في الدنيا على ذكر وطاعة الرحمن، فكانت الملائكة تدعو لهم وتقول: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (غافر: ٨).

والحديث بقية - إن شاء الله تعالى - مع

٣- الدعاء والذكر ٤- التآذين ٥- التحنيك ٦- خلق رأس المولود

وبعد...

فهذا آخر ما تيسر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبلها منا بقبول حسن، كما أسأله سبحانه أن ينفع بها مؤلفها وقارئها ومن أعان على إخراجها ونشرها..... إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادع لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخلا جل من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك